مجلة العلوم الانسانية- كلية الآداب- جامعة البحرين، العدد ١٤/ صيف ٢٠٠٧م.

مفهوم الديمقراطية في الفكر العربي
رؤية تحليلية لموقف عبد الرحمن الكواكبي
(١٢٠٩-١٣٢٠هـ)- (١٨٤٣-١٩٠٢)

د. عدنان ملحم*

الملخص

وجد المثقفون العرب أنفسهم، في أواخر القرن التاسع عشر، وجهاً لوجه أمام الحضارة الأوروبية من خلال تأثيرها الثقافي- الاستعماري، خاصة بعد حملة نابليون على مصر عام (١٢١٣هـ/١٧٩٨م)، أو رحلاتهم العلمية إلى الغرب، أو قراءاتهم لتراثه. وقد تعددت مواقفهم من التحدي الجديد بين الرفض المطلق أولاً. والقبول المطلق ثايناً. والاقتباس المدروس الذي يأخذ من الحضارة الأوروبية ما يتلاءم مع الواقع ثالثاً. وقد تبنى المثقفون التنويريون العرب الموقف الأخير، واعتبروا الديمقراطية شرطاً من شروط النهضة في مجتمعاتهم، وسعوا إلى ترسيخها بين الجماهير العربية.

أدخل عبد الرحمن الكواكبي (١٢٥٩-١٣٢٠هـ)/ (١٨٤٣-١٩٠٢م)، البعد العقلاني في المشروع وربطه بمرجعية فكرية دينية. وأناط بالمثقفين العرب مهمة واقعهم وتجذير الديمقراطية فيه. وعَدَّهم حاملي لواء المعرفة، وقادة الأمة، وحراس حريتها وآمالها.

عَدَّ الكواكبي الديمقراطية الغربية شكلاً من أشكال الشورى الإسلامية، ونتاجاً من آثارها. ودعا إلى تأسيس مجالس دستورية يكون لجميع أفراد الشعب مهمة الانتخاب أو الترشيح فيها. ومهمة انتخاب حكام يرشحهم أهل الحل والعقد.

وأكد الكواكبي أن مهمة الديمقراطية هي النهوض بالأمة، وتدبير شئونها، وتحرير أفرادها من الخوف والظلم والجهل، وتحقيق نهضة شاملة. وآمن أن مهمة الحكام الحقيقية هي الإيمان بالديمقراطية وتطبيقها بوصفها، جوهر الإسلام الأساس. وحث الجماهير على الدفاع عن حقها في إقامة أنظمة ديمقراطية، من خلال التسلح بالعلم والإيمان والموعظة الحسنة أولاً، أو من خلال العصيان والثورة المسلحة ثانياً.

وقسم الكواكبي موقف العلماء من الديمقراطية قسمين: أولهما: العلماء العاملون الذين وكل إليهم مهمة ترسيخ الديمقراطية والدفاع عنها. وثانيهما: العلماء الجبناء الذين يعتقدون أن الديمقراطية مخالفة الإسلام، وتعطي الجماهير دوراً يتعارض مع السياسة الشرعية.

---

*رئيس قسم التاريخ في جامعة النجاح الوطنية-نابلس- فلسطين.